مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
العـدد الخـــاص، مـارس 2026،
ص ص17- 36
Arts & Humanities Journal
Special Issue, March, 2026,
pp.17 -36

Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561

ديوان تستأنف الأنهار ضحكتها من منظور بيئي (قصيدة الأرض أنموذجاً)

الباحثة/ أرجوان حسن محمد
باحثة بمرحلة الدكتوراه بتخصص الأدب
قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك خالد
ergwan38@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 18/ 2/ 2026م تاريخ قبوله للنشر: 2/ 3/ 2026م
موقع المجلة: https://taiz.edu.ye/tujr/index.php/ahs

ديوان تستأنف الأنهار ضحكتها من منظور بيئي

(قصيدة الأرض أنموذجاً)

أ/ أرجوان حسن محمد

باحثة بمرحلة الدكتوراه بتخصص الأدب

قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك خالد

ملخص البحث

تتناول الدراسة تحليل قصيدة تُصوِّر الأرض ككائن حي ذي طابع أنثوي، وتستخدم صورًا بيئية للتعبير عن علاقة التفاعل والاعتماد المتبادل بين الإنسان والطبيعة، مع إبراز حدود محاولة الإنسان فهمها والسيطرة عليها. ويعتمد البحث على النقد البيئي والمنهج السردي لتحليل الصور وبناء الخطاب، كاشفًا عن علاقة ديناميكية بين الإنسان والبيئة.

وتبرز أهمية الدراسة في إسهامها في تنمية الوعي البيئي في الشعر العربي المعاصر، حيث تُقدَّم الطبيعة كشريك في الوجود لا مجرد خلفية، مع التأكيد على امتداد هذا التصور في التراث الأدبي العربي. كما يهدف البحث إلى كشف كيفية بناء الدلالة البيئية في القصيدة وإعادة تعريف مفهوم البيئة من خلال صورها، مظهرًا رؤية متوازنة تقوم على احترام الأرض.

وتنقسم الدراسة إلى قسمين: يتناول القسم الأول الرؤية البيئية في القصيدة وتصور الشاعر لعلاقة الإنسان بالأرض، مبيّنًا كيف تتطور القصيدة إلى خطاب بيئي. ويحلل القسم الثاني الصور البيئية مثل الأرض والسماء والنجوم والماء والضوء والطيور، لإبراز كيفية اندماج هذه العناصر في بنية شعرية تمنح البيئة دورًا دلاليًا وجماليًا فاعلًا.

الكلمات المفتاحية: الشعر البيئي، الأدب العربي المعاصر، النقد البيئي، علاقة الإنسان بالطبيعة، الصور الطبيعية، الخطاب الشعري، الأرض ككائن حي، الوعي البيئي.

An Environmental Reading of The Rivers Resume Their Laughter: "*The Earth*" as a Case Study

Arjwan Hasan Mohammed
PhD Researcher in Literature Academic

Abstract

The study examines a poem that portrays the earth as a living, feminine cosmic entity, using environmental imagery to express the interdependent relationship between humans and nature. It presents natural elements as active agents that both reflect human efforts to understand and control nature and expose the limits of those efforts.

Using eco-critical and narrative approaches, the research analyzes imagery, structure, and discourse to highlight the dynamic human–environment relationship. It contributes to eco-critical readings of contemporary Arabic poetry by showing how poetry fosters ecological awareness and reimagines nature as a partner in existence, while also extending a long-standing tradition in Arabic literature.

The study ultimately explores how the poem constructs environmental meaning and reveals a balanced ecological vision. It is divided into two parts: one on environmental vision and human–earth relations, and another on the role of environmental imagery in shaping poetic meaning.

Keywords: Environmental Poetry, Contemporary Arabic Literature, Ecocriticism, Human-Nature Relationship, Natural Imagery, Poetic Discourse, The Earth as a Living Entity, Environmental Consciousness, Metaphor and Poetic Imagery.

.

المقدمة

شهدت الدراسات النقدية المعاصرة اهتمامًا متزايدًا بتمثّلات البيئة في الخطاب الأدبي، حيث لم تعد الطبيعة تُقرأ بوصفها عنصرًا جماليًا ثانويًا أو خلفية وصفية محايدة، بل أصبحت مكوّنًا دلاليًا فاعلًا يشارك في بناء المعنى، وفي هذا الإطار، يبرز النقد البيئي (Eco-criticism) بوصفه منهجًا نقديًا يُعنى بتحليل علاقة الإنسان بالطبيعة، وكيفية حضور الأرض والعناصر البيئية في النصوص الأدبية.

تنطلق هذه الدراسة من قراءة قصيدةٍ تتعامل مع الأرض بوصفها كائنًا حيًا وأنثى كونية، تُستدعى من خلالها صور بيئية متعدّدة مثل النهر، والماء، والنور، والمدينة، لتشكّل شبكة دلالية تعبّر عن طبيعة العلاقة المترابطة بين الإنسان والبيئة؛ فالقصيدة لا تكتفي بتوظيف العناصر الطبيعية في بعدها الجمالي، بل تمنحها دورًا فاعلًا يكشف عن ممارسات الإنسان في محاولة تفسير الطبيعة والسيطرة عليها، وما يقابل ذلك من عجز عن فهم مساراتها وقوانينها.

وتعتمد هذه الدراسة على منهج النقد البيئي للكشف عن كيفية تشكّل الخطاب البيئي في القصيدة، من خلال تتبّع الصور المستمدة من الواقع الطبيعي والمكاني وتحليل دلالاتها، كما تعتمد كذلك على المنهج السردي بوصفه أداةً مساعدة في قراءة تتابع الصور، وبناء المشاهد، وحركة الخطاب داخل النص، بما يبرز دينامية العلاقة بين الإنسان والبيئة وتحوّلها عبر مسار القصيدة.

وتنبع أهمية هذا البحث من إسهامه في قراءة الشعر العربي المعاصر قراءةً بيئية وسردية، تبرز قدرة الخطاب الشعري على بناء وعيٍ بيئيٍّ يعيد الاعتبار للطبيعة بوصفها شريكًا في الوجود، لا مجرد موردٍ أو خلفيةٍ جمالية، ويكشف عن إمكانات الشعر في التعبير عن القضايا البيئية ضمن بناء تصويري متماسك.[1]

1 انظر: الضباب أتى.. الضباب رحل: قراءة من منظور بيئي، عبد الحميد سيف أحمد الحسامي، علامات في النقد، مجلد 18، 2009م.، ص125 -126.

فالاهتمام بالبيئة في الأدب ليس موضوعًا غائبًا عن الأدب العربي، فقد كان الأدب العربي منذ بداياته، بدءًا من شاعر مثل امرئ القيس وصولًا إلى المتنبي، ولاحقًا في العصور الحديثة مع المهجريين وجماعة أبولو، يبرز هذا الارتباط الوثيق بين الإنسان وبيئته، فعلى سبيل المثال، كان عالم الطبيعة ملاذًا للشعراء الصعاليك، حيث وجدوا فيه الأنس والطمأنينة التي فقدوها في المجتمع البشري. مما يبرز أهمية توظيف عناصر البيئة في الأدب والشعر كوسيلة للتعبير عن التلاحم بين الإنسان وبيئته.[2]

يهدف هذا البحث إلى تحليل التمثيلات البيئية في القصيدة وكيفية تصوير العلاقة التفاعلية بين الإنسان والطبيعة عبر دراسة الصور الشعرية المرتبطة بالبيئة الطبيعية وكيفية توظيفها في بناء خطاب بيئي إبداعي ، ويركز البحث على الكشف عن الطريقة التي تعيد بها القصيدة تعريف مفهوم "البيئة" من خلال الصور الشعرية والتشبيهات المستخدمة، كما يسعى إلى توضيح الرؤية البيئية التي تحملها الشاعرة، وكيف تعبر عن فهم متوازن للعلاقة مع الأرض، بعيدًا عن الهيمنة أو الاستهلاك، بما يعكس احترام الطبيعة واعتبارها شريكًا حيًا في الوجود.

قامت هذه الدراسة على تناول البعد البيئي في القصيدة من خلال مبحثين رئيسين:

- يُعنى المبحث الأول: بتناول الرؤية البيئية في القصيدة من خلال الكشف عن التصور الذي تقدمه الشاعرة لعلاقة الإنسان بالأرض، وكيف تتحول القصيدة إلى خطاب بيئي يحمل رؤية متوازنة تُعيد الاعتبار للطبيعة يظهر فنية الخطاب لدى الشاعرة.
- أما المبحث الثاني: يعنى بتحليل الصور البيئية من خلال تتبّع الصور الشعرية المستمدة من عناصر الطبيعة مثل الأرض، والسماء، والنجوم، والماء، والنور، والطيور، والكشف عن دلالاتها وكيفية توظيفها في بناء خطاب شعري يمنح البيئة حضورًا فاعلًا داخل النص. ويركّز هذا المبحث على دراسة الصورة بوصفها أداة جمالية ودلالية تُسهم في تشكيل المعنى البيئي، وتبرز العلاقة التفاعلية بين الإنسان والطبيعة.

2 انظر: الأقنعة والوجوه– قراءات في الخطاب الروائي. أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي ص 131

التمهيد

التعريف بالشاعرة:

ابتهال محمد مصطفى تريتر شاعرة سودانية معاصرة تُعد من أبرز الأصوات الشعرية في السودان والعالم العربي. تمثل شعرًا نسائيًا عميقًا يشدّه وطنه وتجاربه الإنسانية، وقد شاركت في العديد من الأمسيات والمهرجانات الثقافية العربية، من بينها مهرجانات في الشارقة وغيرها من الفعاليات الأدبية.

حصلت ابتهال على بكالوريوس الشرف والماجستير في الهندسة الميكانيكية، ومع ذلك اتجهت بفعل شغفها للشعر إلى مسار إبداعي قوي ترك بصمة في الساحة الأدبية.

تقلدت مناصب ثقافية بارزة، منها نائبة مدير بيت الشعر بالخرطوم، وهو فرع من مبادرة بيوت الشعر العربية التي تُعنى بنشر الشعر العربي وتشجيع المبدعين.

صدر لها عدة دواوين شعرية من بينها: الإشارات الخفيّة، على شَفا الجُرح، أخيط على مَقاسِ العِطر.

وقد حظي ديوانها الأخير بتقدير واسع وفاز بجائزة الأمير عبد الله الفيصل في فرع الديوان الشعري في موسمه الخامس.

وقد تميزت أعمالها بعمق التجربة النسائية، وثراء الصور الشعرية، والتفاعل مع قضايا الإنسان والوجود، ما جعلها صوتًا شعرياً مؤثرًا يتم الاحتفاء به في الفضاءات الثقافية العربية.[3]

قصيـــدة الأرض

طَليقَةٌ في مَدَى أَهْلِيجِها خَزَنَتْ
مِنَ النُّجُومِ فَسَاتِينًا لِزُرْقَتِها
مُفَسِّرُونَ عَلَى نَاسُوتِها خَرَجُوا

---

3 [1] الخليج أونلاين. "ابتهال تريتر «على مقاس العطر» في النادي العربي." 17 أغسطس 2024. https://www.alkhaleej.ae/2024-08-17/ابتهال-تريتر-تقرا-على-مقاس-العطر-في-النادي-العربي.

خَرَائِطاً لَمْ تَجِدْ رَسْمًا لِوِجْهَتِها

يُحَدِّثُونَكَ عَنْ مِيقَاتِ وَقْفَتِها

وَكَيْفَ تُغْرِقُ كَوْنًا انَ ضَحْكَتِها

كَأَنْ تَدُسَّك كُحْلًا فِي مَدِينَتِها

كَأَنْ تُخَبِّئَ كَهْفًا فِي أَزِقَّتِها

يُشَذِّبُونَ حَيَاةَ النَّهْرِ مُذْ عَلِمُوا

آنَّ انفِجَارًا عَظِيمًا خَلْفَ رَقْصَتِها

وَيَسْأَلُونَ عَنِ المَكْسُورِ فِي فَمِهَا

وَعَنْ يَدَيْهَا وَعَنْ لَوْنٍ لمَشْيَتِهَا

عَلَى الشَّوَادِيفِ مَاءٌ لَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يُفْهِمَ النَّهْرَ شَيْئًا عَنْ مَسِيرَتِهَا

أُنْثَى تَكَوَّرَ فِيهَا النُّورُ فَانْكَفَأَتْ

لِتُنْجِبَ الضَّوْءَ تُعْلِي سَقْفَ عَتْمَتِهَا

وَكُلُّ طَيْرٍ لَهُ سِيمُورْغٌ عَطِشٌ

يَعُدُّ مَنْطِقَهُ مِنْ وَحْيِ رِحْلَتِهَا

وَكَيْفَ تَذْبَحُ فِي الحِنَّاءِ صُورَتَهَا

وَتَجْعَلُ الصَّمْتَ قُرْانًا لِرِقَّتِهَا

عَنِ اليَوَاقِيتِ فَوْقَ العَرْشِ تَحْرُثُهَا

لِكَيْ تُحَقِّقَ فَصْلًا عَنْ نُبُوَّتِهَا

مَنْ يَسْتَرِدُ قُرَى الإِلْهَامِ يَغْسِلُهَا

مِنَ المَجَازِ وَمِنْ تَرْمِيزِ طِينَتِهَا

الآدَمِيَّةُ أَنْ نَنْسَى مَخَارِجَنَا

لِنَنْتَهِي نُطَفًا فِي آدَمِيَّتِهَا

وَأَنْ نُعِدَّ كِتَابًا لَا يُفَلْسِفُهَا

وَنَمْنَحَ الحِبْرَ وَجْهًا مِنْ حَقِيقَتِهَا.

المبحث الأول: الرؤية البيئية في القصيدة

تقدم القصيدة رؤية بيئية متكاملة حيث تتحول الأرض من مجرد كائنٍ جامد إلى كائنٍ حي متفاعل مع الكون، كما تقول الشاعرة: "طليقة في مدى أهليجها"، لتصبح الأرض شريكًا في الوجود وليس مجرد مصدر موارد، كما يظهر في: "تُغرق كونا آن ضحكتها" هذا التمثيل يحوّل الطبيعة إلى كيان حي يملك استقلاليته وتوازنه وحقوقه الخاصة.

مبادئ الرؤية البيئية في القصيدة:

1-**الاستقلالية البيئية:**

تشير الصور الشعرية إلى أن الأنظمة البيئية تعمل وفق قوانينها الذاتية، كما في:

"ماء ليس في يده أن يفهم النهر شيئاً عن مسيرتها".

حيث توضح الشاعرة من خلال الصور الشعرية كيف يمكن لكل عنصر في الطبيعة أن يزدهر دون الاعتماد الكلي على الآخر، فهي تُصوِّر أن الجزء لا يحيط بالكل، ومع ذلك يستمرّ النظام في العمل والازدهار من خلال تناغمٍ داخليّ بين مكوّناته.

2-**التوازن البيئي:**

تتجلى العلاقة بين الضوء والظلام كرمز للتوازن الطبيعي: "أنثى تكور فيها النور فانكفأت لتُنجِب الضوء تُعلي سقف عتمتها".

فالتوازن البيئي هو الركيزة الأساسية في القصيدة، حيث تناولت الشاعرة كيفية العلاقة بين مكونات البيئة وتوازنها.

3- **التواصل بين المكونات:**

تتواصل الأرض مع العناصر الأخرى: "خزنت من النجوم"، والنهر يحاور ذاته: "أن يفهم النهر شيئاً".

أما عن التواصل بين المكونات فهو يعكس القدرة على فهم الروابط والعلاقات بين مختلف العناصر في البيئة، وهنا أبرزت الشاعرة كيف أن كل مكون يتحدث بلغة خاصة، مما يعكس تآزرها.

4- الحقوق البيئية:

تعترف القصيدة بحقوق الطبيعة: "تُغرق كونا آن ضحكتها"، و "لونٍ لمشيتها"، "وتجعل الصمت قرآنًا لضحكتها"، "عَنِ اليَوَاقِيتِ فَوْقَ العَرْشِ تَحْرُثُهَا لِكَيْ تُحَقِّقَ فَصْلًا عَنْ نُبُوَّتِهَا" مؤكدة مكانة الأرض ككائن مستقل له حقوقه، مما يتطلب الحفاظ على البيئة وحماية الطبيعة.

ومن خلال هذه المبادئ الأربعة توضح الشاعرة عمق ارتباط الإنسان بالطبيعة، وكيفية تحقيق التوازن بين احتياجاته وحقوق الطبيعة.

العلاقات البيئية المتبادلة:

1-العلاقة الأفقية داخل النظام البيئي:

- النجوم والأرض: "خزنت من النجوم".
- الماء والنهر: "يفهم النهر شيئاً عن مسيرتها".
- الضوء والعتمة: علاقة تفاعلية ديناميكية.

2-العلاقة العمودية بين الإنسان والطبيعة:

- الإنسان المشذِّب: "يشذبون حياة النهر".
- الإنسان السائل: "يسألون عن المكسور في فمها".
- الإنسان الباحث: "مُفسرون على ناسوتها خرجوا خرائطاً".

الخطاب البيئي النقدي:

تمضي القصيدة في بناء خطابها السردي عبر توسيع أفق الرؤية من الذات إلى الكون، مستثمرة تداخل التجربة الفردية مع الإيقاع الكوني العام، ومؤسِّسة في الوقت ذاته لِخطابٍ بيئيٍّ يستحضر علاقة الإنسان بالطبيعة بوصفها كيانًا حيًّا، ومن خلال هذا التداخل، يتشكّل السرد حركةً دلالية تتأرجح بين المطلق والإنساني والبيئي، بما يبرّر تعدّد مستوياته وآلياته السردية.

نجد أن الخطاب السردي في القصيدة يتحرك بين مستويين:

- **المستوى الكوني:** يُصور الأرض والنجوم والكون ضمن علاقة ديناميكية.
- **المستوى الإنساني:** يركز على الذات الشاعرة وعلاقتها بالوجود.

ومن ثم نجد التشكل السردي في القصيدة يتجلى في توظيف الشاعرة لتقنيات سردية منها:

1- **الحوار الداخلي:** "يُحدثونك عن ميقات وقفتها"- تحول الشاعرة السرد إلى حوار مع القارئ.

2- **الانزياح الزمني:** يتحرك السرد بين الأزمنة المختلفة (الماضي، الحاضر، المستقبل الميتافيزيقي).

3- **تعدد الأصوات:** تظهر أصوات متعددة (الشاعر، الرواة، الكون نفسه) في بناء سردي متعدد الطبقات.

وبناءً على ما سبق برزت أهم النقاط التي تناولتها الشاعرة في خطابها الشعري:

1- **نقد التدخل البشري:**

- "يشذبون حياة النهر"- صورة للتدخل السلبي.
- "مُفسرون... خرجوا خرائطاً"- محاولة اختزال الطبيعة في خرائط.

لقد أشارت الشاعرة إلى تلمس بعض المظاهر في التعامل مع مكونات الطبيعة، والتي تعد فعلاً جماليًا لدى الأغلبية، إلا أن الشاعرة ناقضتها بأن كشفت زيفها، وأشارت إلى ضررها، وهذا الالتفات في عمقه إدانة للسلوك البشري، ودعوة إلى تغيير طريقة وعي البشر بالأشياء من حوله.[4]

2- **نقد الانفصال المعرفي:**

- "لم تجد رسماً لوجهتها"- عجز المعرفة عن فهم الطبيعة.
- "ماء ليس في يده أن يفهم النهر"- جهل بالمكونات البيئية.

4 انظر: البيئة في الشعر الجزائري المعاصر. دليلة مكسح. رسالة دكتوراه.2015. ص 463

إن الشعر رغم حاجته لبيئة ينطلق من خصائصها لتفعيل رؤاه، لا يكتمل ذلك التفاعل إلا بعد امتلاكه لوعي عميق بمتطلباته ومتطلبات البيئة، والذي تكون من خلاله الشاعرة واعيه بمتطلبات النص الفنية، والجمالية، والدلالية.[5]

3- دعوة للتواصل الحسي:

- "تجعل الصمت قرآناً لرقتها"- التواصل الهادئ مع الطبيعة.
- "تنسى مخارجنا"- ترك الذاتية للاتحاد مع البيئة.

معرفية الشعر تتشكل عبر ثنائية الوعي واللاوعي التي تبرز بأشكال مختلفة، إذ لكل نص شعري وعيه الخاص الذي يمثل تجليًا من تجليات الوعي عامة، وهو وعي مرتبط باللغة والواقع معا، ويحمل في داخله جماليات فنيه. [6]

الرموز البيئية العميقة:

1- الخرائط مقابل الطبيعة:

- الخرائط: معرفة مجتزأة.
- الطبيعة: معرفة شمولية.
- الرسالة: المعرفة الحقيقية تأتي من التفاعل المباشر "خرائطًا لم تجد رسمًا لوجهتها".

2- الماء العاجز:

- الماء كجزء من النظام لا يفهم الكل.
- الرسالة: لكل عنصر دوره المحدود في البيئة.

3- العطش البيئي:

- "سيمورغ عطش" الطائر الأسطوري العطش.
- الرسالة: حتى الكائنات الأسطورية تعتمد على النظام البيئي وتتعرض لضغوطه.

---

5 البيئة في الشعر الجزائري المعاصر . دليلة مكسح. رسالة دكتوراه.2015. ص 122

6 محمد الحرز: شعرية الكتابة والجسد (دراسات حول الوعي الشعري والنقدي)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت. ط1، 2005. ص 174.

الخطاب البيئي الإيجابي: وهو وضوح العلاقة العميقة بين الإنسان والبيئة ويمكن تقسيم الخطاب إلى المحاور الآتية:

1- الاحتفاء بالتناغم البيئي:

- الأرض والنجوم في تناغم دائم.

تظهر الشاعرة كيف تتفاعل الأرض مع النجوم، وكيف أن كل ظاهرة طبيعية مرتبطة بنظام الكون الأوسع، فعند النظر للنجوم نجد أنها تضيء الليل، مما يرمز إلى الأمل والاستمرار وأن الحياة مستمرة على الأرض بين مختلف العناصر والمكونات.

- الضوء يولد من العتمة.

هنا تتحدث عن فكرة فلسفية التي توضح أن أوقات الظلام تسهل ظهور النور، وفي سياق الطبيعة والبيئة تعبر أن الأزمات البيئية فرصة للتأمل والتغيير.

2- الدعوة للتواضع البيئي:

- "الآدمية أن ننسى مخارجنا".

يشير هذا النص إلى التخلي عن الذات والانسجام مع الطبيعة، وأن نعتبر النفس جزءًا من البيئة.

- التخلي عن الأنانية والاستعلاء على الطبيعة.

وهو الاعتراف بالطبيعة وجمالها وإظهار الاحترام لها والتفكير في طريقة الحياة، واستهلاك الموارد.

3- تقديس التفاعل الطبيعي:

- "حرث الياقوت فوق العرش".

وهنا تعبير مجازي عن قيمة العمل الرفيع في حماية البيئة والمحافظة على تنوعها.

- الجمع بين السماوي والأرضي في تناغم بيئي كامل.

فتبرز الشاعرة الرؤية الشاملة التي تربط العلو بالعالم الدنيوي، وتفاعل الإنسان والبيئة والعيش في توازن روحي وحياة ملموسة.

المبحث الثاني: التشكيل الصوري لقصيدة الأرض من المنظور البيئي:

تقوم قصيدة الأرض[7] للشاعرة ابتهال على تشكيل لغوي وصوري كثيف يجعل من الأرض كيانًا حيًّا متحركًا، لا يُقدَّم بوصفه مكانًا جامدًا، بل بوصفه ذاتًا أنثوية كونية تتشابك فيها الصور الواقعية مع الرموز الأسطورية التي وظفتها الشاعرة، ويتقاطع فيها الضوء مع الظلام، في بناء دلالي متماسك، هذا التشكيل لا يعتمد على صورة واحدة، بل على شبكة من الصور المتداخلة التي تتوالد من بعضها بعضًا، فتمنح النص أفقًا تأويليًا واسعًا.

تبدأ القصيدة بتشخيص الأرض كأنثى حرة متفلته من القيود، كما في قول الشاعرة:

"طَليقَةٌ في مدى أهليجها"، لتتأكد هذه الأنوثة في أفعالها وتأثيرها الكوني، حيث "ضحكتها تُغرق الكون"، ولها "لون مشيتها" و"المكسور في فمها" و"يداها"، فيتحول الجسد إلى لغة، والحركة إلى معنى. وتبلغ هذه الأنوثة ذروتها حين "صورتها تُذبح في الحناء"، في إشارة إلى طقس أرضي قديم يجمع بين الفرح والألم، وبين الحياة والفناء، ثم تنتهي هذه الصورة بسمو روحي حين "رقّتها تجعل الصمت قرآنًا"، فيتحول الصمت نفسه إلى نص مقدس، ومن هذا التشخيص الأرضي تنفتح القصيدة على صور كونية وفلكية توسّع أفق الرؤية، فالأرض لا تُرى فقط من سطحها، بل من علاقتها بالسماء، حيث "خزنت من النجوم فساتينًا لزرقتها"، و"الياقوت فوق العرش"، و "تكوّر النور فيها فانكفأت"، حتى تصبح الأرض كائنًا يلد النور من داخله، إذ "تُنجِب الضوء وترفع سقف عتمتها"، في علاقة جدلية بين النور والظلام لا تقوم على الإلغاء، بل على التوليد والتكامل، وتتعزز هذه الرؤية عبر صور أسطورية ورمزية تضفي على النص بعدًا إنسانيًا كونيًا، مثل صورة "السيمورغ العطش مصدر وحي"، حيث يصبح العطش –لا الاكتفاء– هو منبع المعرفة، وتتجلى حيرة الإنسان في "خرائط لم تجد رسمًا لوجهتها"، في مقابل السعي إلى جوهر بعيد عن الزيف، كما في "كتاب لا يُفلسفها" و"قرى الإلهام"، حيث تُدان المعرفة المجردة لصالح المعرفة المتصلة بالأصل.

ولا تنفصل هذه الرموز عن الواقع المكاني، إذ تحضر المدينة والأزقة والكهف

7 ديوان تستأنف الأنهار ضحكتها، ابتهال تريتر، دار زهرات البيدر، 2025م، ص 7–9.

بوصفها امتدادًا لجسد الأرض، في قولها :"كأن تدسّك كحلًا في مدينتها" و"كأن تخبّئ كهفًا في أزقّتها"، لتصبح المدينة كائنًا حيًّا، يخفي في داخله تاريخًا وذاكرة وأسرارًا.

كما تتجلى الصور المائية والنهرية باعتبارها رمزًا للحياة المستمرة، لكن حياة لا يمكن التحكم فيها، كما في "يشذّبون حياة النهر" و"ماء على الشواديف لا يَفهَم مسيرتها"، و"انفجار خلف رقصتها"، في دلالة على عجز الإنسان عن إخضاع الطبيعة لمنطقه.

وتتعمق الدلالة حين تعود الصور إلى أصلها الطبيعي والأرضي، عبر مفردات مثل "طينتها" و"الحناء التي تُذبح فيها صورتها" و"المشي والزرقة والأنهار"، لتؤكد أن كل هذا الامتداد الكوني والأسطوري يعود في النهاية إلى التراب.

ويبلغ هذا المعنى ذروته في الصور الفلسفية والوجودية، حين تقول الشاعرة: "أن ننسى مخارجنا لننتهي نطفًا في آدمِيّتها"، في دعوة صريحة إلى العودة للأصل، ثم "منح الحبر وجهًا من حقيقتها"، و"فصل عن نبوّتها"، وصولًا إلى فكرة أن الإنسان يعود إلى أصل الأرض، لا بوصف ذلك سقوطًا، بل اكتمالًا للمعنى الإنساني.

وهكذا تتعامل القصيدة مع الأرض بوصفها أنثى وكائنًا كونيًا في آن واحد، وتبني صورها من الطبيعة والنور والظلام والنهر والطير، جامعةً بين الصورة الواقعية والبعد الأسطوري، لتقدّم رؤية شعرية عميقة تكشف غموض الأرض، وعجز الإنسان عن امتلاكها، وتؤسس في الوقت نفسه لوعي بيئي وفلسفي يعيد الإنسان إلى ترابه الأول.

وتقوم القصيدة على توظيف مكثّف للرمز والتشفير والتأويل، وتُبنى رؤيتها الجمالية والفكرية على علاقة عضوية بالبيئة بوصفها فضاء الخلق الأول ومسرح التحولات الكونية والإنسانية. فالشاعرة لا تكتفي بالإشارة إلى الطبيعة بوصفها خلفية جمالية؛ بل تقدّم البيئة بوصفها كيانًا حيًا فاعلًا، يتجلى في الأرض والنهر والضوء والعرش، كما يتقاطع مع الرمز في الناسوت والنبوة والياقوت والسيمورغ، في بناء شعري يعيد تعريف العلاقة بين الإنسان ومحيطه البيئي.

وتحتل فكرة الخلق موقعًا جوهريًا في رؤية الشاعرة، حيث تُستمد صور الخلق من عناصر البيئة الأولى: العتمة، والنور، والماء، والانفجار.؛ فالعتمة لا تُقدَّم بوصفها نقيضًا للنور، بل باعتبارها شرطًا بيئيًا سابقًا لظهوره، في تصور يلتقي مع الرؤى الصوفية

ونظريات الخلق القديمة، ويتجلى هذا بوضوح في قولها:

"أُنثى تَكَوَّرَ فِيهَا النُّورُ فَانْكَفَأَتْ

لِتُنْجِبَ الضَّوْءَ تُعْلِي سَقْفَ عَتْمَتِهَا"

حيث تتحول الأنثى إلى رمز للأرض بوصفها رحمًا بيئيًا كونيًا، يحتضن النور ويعيد إنتاجه من داخل العتمة.

ويبرز الماء في القصيدة باعتباره عنصرًا بيئيًا أصيلًا ومادة الوجود الأولى، في انسجام مع التصورات الفلسفية والبيئية القديمة التي ترى في الماء أصل الحياة واستمراريتها، ويتجسد هذا المعنى في قولها:

"الحُبُّ أَنْ تَلِدَ الغَمَامَةُ مَاءَهَا

وَالْمَاءُ يَكْتَنِفُ الحَيَاةَ بِغَيْمِهِ"

حيث تتحول الغمامة إلى فاعل بيئي يولّد المطر، ويغدو الماء قوة احتواء وحماية للحياة، في صورة تربط بين البيئة والخصب والاستمرار.

كما تستدعي القصيدة صورة "الانفجار العظيم" بوصفه لحظة بدء كوني، لتربط بين العلم الحديث والبيئة الكونية التي نشأ منها الوجود، كما في قولها:

"أَنَّ انفِجَارًا عَظِيمًا خَلْفَ رَقْصَتِهَا"

فتتحول الحركة والرقص إلى استعارة عن دينامية البيئة نفسها، بوصفها نظامًا حيًا قائمًا على التغير والتحول.

ومما يلي أوجز ما قامت به الشاعرة في توظيف مكثف للصور الشعرية البيئية التي تعكس العلاقة بين الإنسان والطبيعة:

أولاً: صورة الأرض الأم/الأنثى

تعرض الشاعرة الأرض ككائن حي وأنثى حرة، حيث تقول: "طليقة في مدى أهلجها" و"تنجب الضوء"، هذه الصور تدل على تقديس الأرض واعتبارها مصدرًا للحياة، كما تصورها أمًا تخلق الضوء وتستمر في منح الحياة للكون.

ثانيًا: صورة النهر كنظام بيئي

تظهر الطبيعة المائية كعنصر حيوي له دوره الخاص، وتكشف عن تدخل الإنسان غير الواعي، مثل: "يشذبون حياة النهر" و"ماء ليس في يده أن يفهم النهر هنا "يُبرز النص عجز الإنسان عن السيطرة على النظام البيئي وفهمه بالكامل.

ثالثًا: صورة الضوء والعتمة

تمثل هذه الصور الطاقة الطبيعية والتوازن البيئي، كما في قوله: "تكور فيها النور" و"تُعلي سقف عتمتها". هذه العلاقة بين النور والظلام تعكس دينامية البيئة واستمراريتها، حيث يولد الضوء من العتمة ولا يكون مفصولًا عنها.

رابعًا: صور التنوع البيئي

تشمل الصور عناصر متعددة من البيئة، مثل الكائنات والكهوف والنباتات، حيث تقول الشاعرة: "كل طير له سيمورغ عطش"، و"تخبي كهفًا في أزقتها"، و"تحرثها" في سياق الياقوت. هذه الصور تحتفي بتنوع البيئة وتعقيدها، وتبرز دور كل عنصر في منظومة الحياة.

ولا تقف القصيدة عند تمجيد البيئة، بل تمارس نقدًا ضمنيًا لعلاقة الإنسان بها، من خلال إبراز عجز المعرفة البشرية عن الإحاطة بحقيقتها؛ فالمفسرون الذين يحاولون فهمها يرسمون خرائط، لكنهم يفشلون في إدراك وجهتها، كما في قولها:

"مُفَسِّرُونَ عَلَى نَاسُوتِهَا خَرَجُوا
خَرَائِطًا لَمْ تَجِدْ رَسْمًا لِوِجْهَتِهَا"

وهي صورة تكشف انفصال الإنسان المعاصر عن بيئته، حين يحاول إخضاعها للتفسير والسيطرة بدل الإنصات إلى قوانينها الطبيعية.

وفي مقابل هذا الفشل، تطرح القصيدة الإلهام بوصفه معرفة بيئية بديلة، قائمة على الانسجام مع الطبيعة لا على قهرها، كما في قولها:

"مَنْ يَسْتَرِدُّ قُرَى الإِلْهَامِ يَغْسِلُهَا
مِنَ المَجَازِ وَمِنْ تَرْمِيزِ طِينَتِهَا"

حيث تُقدَّم البيئة باعتبارها مصدر الإلهام الأول، الذي يحتاج إلى تطهير من الزيف اللغوي والرمزي للعودة إلى صفائه الأصلي.

ويبلغ هذا الوعي البيئي ذروته حين يُقدَّم الصمت بوصفه لغة الطبيعة العليا، كما في قولها:

"وَتَجْعَلُ الصَّمْتَ قُرْآنًا لِرِقَّتِهَا"

فالصمت هنا ليس غيابًا للكلام، بل إنصات عميق لصوت البيئة، وتعبير عن احترام إيقاعها الطبيعي بعيدًا عن ضجيج التفسير والهيمنة.

وهكذا تتشكّل القصيدة بوصفها خطابًا شعريًا يعيد وصل الإنسان بالبيئة، ويقدّم الأرض كأم خالقة، والنور والماء بوصفهما عنصرين بيئيين للخلق، ويكشف في الوقت ذاته عن أزمة الإنسان المعاصر في فهم محيطه الطبيعي، داعيًا إلى عودة تأملية إلى الأصل، حيث التراب والماء والنور هي مفاتيح الوجود والمعنى معًا.

ومن خلال هذا البناء السردي تنتقد الشاعرة التدخّل البشري والانفصال المعرفي عن الطبيعة، وتدعو إلى تواصلٍ حسيّ متواضع معها، كما توظّف رموزًا بيئية عميقة لتأكيد أن المعرفة الحقيقية تنبع من التفاعل والتناغم، لا من الاختزال والسيطرة، مع احتفاء واضح بالتوازن البيئي وقداسة العلاقة بين الإنسان والكون.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن القصيدة تمثّل نموذجًا شعريًا متقدمًا في مقاربة العلاقة بين الإنسان والأرض والكون، حيث لا تُقدَّم الأرض بوصفها إطارًا مكانيًا محايدًا، بل بوصفها كيانًا حيًا وشريكًا وجوديًا في تشكيل المعنى الإنساني، ومن خلال التحليل البيئي والسردي والصوري، تم الوقوف على مجموعة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولًا: النتائج:

- كشفت القصيدة عن رؤية عميقة للعلاقة بين الإنسان والبيئة، حيث تتحول الأرض من مجرد مسرح للأحداث إلى فاعل وجودي يتفاعل مع الإنسان ويؤثر في وعيه ومصيره.
- اعتمدت الشاعرة على صور مجازية مبتكرة أسهمت في تشكيل لغة شعرية تجمع بين الحسي والمجرّد، والمادي والروحي، بما يعكس قدرة النص على تجاوز الوصف المباشر إلى بناء دلالي مركّب.
- قدّمت القصيدة تصورًا وجوديًا يرى في الأرض كائنًا حيًا متكاملًا، لا مجرد مكان جغرافي، وهو ما يعكس وعيًا بيئيًا متقدمًا يتقاطع مع مناهج النقد البيئي المعاصر.
- اتخذ البناء السردي في القصيدة مسارًا تصاعديًا يبدأ من الصورة الكونية الكبرى، المتمثلة في النجوم والكون والنور والعتمة، لينتهي إلى التفاصيل الإنسانية الدقيقة، مما يعزّز وحدة الرؤية بين الكوني والإنساني.
- أسهم توظيف السرد والحوار الداخلي وتعدد الأصوات في تعميق الدلالة البيئية، وإبراز عجز الإنسان عن الإحاطة الكاملة بحقيقة الأرض، رغم محاولاته التفسيرية والعلمية.
- أسست الشاعرة منذ المطلع لسردية كونية، لتؤكد تداخل السماء بالأرض، والوجود بالعدم، في رؤية شعرية شاملة.
- تبني القصيدة خطابًا بيئيًا نقديًا يتّسع من التجربة الذاتية إلى الأفق الكوني، كاشفًا

عن علاقة الإنسان بالطبيعة بوصفها كيانًا حيًا ومتفاعلًا، ويتحرّك السرد بين مستويين: كونيّ يُبرز ديناميكية الأرض والكون، وإنسانيّ يركّز على وعي الذات وموقعها الوجودي، مستندًا إلى تقنيات سردية كالحوار الداخلي، والانزياح الزمني، وتعدّد الأصوات.

ثانيًا: التوصيات

- يوصي البحث بتوسيع الدراسات النقدية التي تتناول الشعر العربي المعاصر من منظور النقد البيئي، لما يكشفه هذا المنهج من أبعاد دلالية جديدة في النصوص الشعرية.
- الدعوة إلى دراسة التداخل بين السرد والشعر في النصوص البيئية، لما له من أثر في بناء رؤية كونية وإنسانية متكاملة.
- ضرورة الاهتمام بالصور البيئية والرمزية في الشعر بوصفها أدوات فاعلة في تشكيل الوعي الإنساني تجاه الطبيعة والكون.
- اقتراح إجراء دراسات مقارنة بين هذه القصيدة ونصوص شعرية أخرى تناولت الأرض والبيئة، للكشف عن تطور الوعي البيئي في الشعر العربي الحديث.

قائمة المصادر والمراجع:

– الأقنعة والوجوه– قراءات في الخطاب الروائي. عبد الحميد سيف الحسامي، الطائف، النادي الأدبي الثقافي، 2016م.

– شعرية الكتابة والجسد (دراسات حول الوعي الشعري والنقدي)، محمد الحرز، مؤسسة الانتشار العربي، 2005م.

– الضباب أتى.. الضباب رحل: قراءة من منظور بيئي، عبد الحميد سيف أحمد الحسامي، علامات في النقد، مجلد 18، 2009م.

– ديوان تستأنف الأنهار ضحكتها، ابتهال تريتر، دار زهرات البيدر، 2025م

– الخليج أونلاين، «ابتهال تريتر تقرأ على مقاس العطر في النادي العربي»، 17 أغسطس 2024م.

– البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، دليلة مكسح، كلية الآداب واللغة العربية رسالة دكتوراه.2015م.